١٢٠

كتاب اسرار ذكر الجهر والإسرار

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة سيدي

ابي الوفا ابن ابي بكر ابن ابي الوفا الحسيني المقدسي

الشافعي نفع الله في ملته ولطف الله به

ورحم سلفه الطاهر بن امين

(٢)

وقف الملا علي الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي للمهمات

الحمد لله الذي جعل اهل توحيده من حزبه المؤيد وهداهم الى صراطه الاقوم المسدد والصلاة والسلام على خير الخليقة محمد الهادي الى الدين الارشد المؤكد الفائل من قال لا اله الا الله ومن قالها دخل حصن الله المشيد الفائل صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل انه قال لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي فما افضل هذا القول واسعد وعلى اله وصحبه وتابعيه وحزبه اهل المعرفة بالتوحيد والتوحد اما بعد فقد تظاهرت الادلة على فضيلة ذكر الله تعالى وافضليته لا اله الا الله على سائر الذكر وفضائل الاجتماع على الطاعة والحث على ذلك وقد صرحت الايات والاخبار والآثار واقوال العلماء رضي الله عنهم بمعاني دوام ذكر الله عز وجل من الفضل والحث على السر والجهر منصوصا في بعضه ومتضمنا في بعضه وقد اودعت جملة جمة من ذلك في جملة من الكتب الفقهية في معنى الذكر وفضله وفضل لا اله الا الله وفضل هي لسن الذكر ثم ذكر لي جمل من

من اكابر اهل العلم انه لم يرد في الايات والاحاديث الشريفة ما يدل على ايلجة ذكر الجهر او ما دل على الامر به او نحو ذلك فحببت ان اجرد من الايات والاحاديث ما يلذ لكل خاطر هذا الرجل العظيم ويوضح له به عذري في احتفالي بالدعوة الى الجهر بذكر الله الكريم فرجعت في ذلك ما جمعت ورجعت الى النظر في تحرير ما حررت والله المستعان على اتمام ما قصدت واسأله ان ينفعنا واياه والمسلمين بالذكر ويعصمنا من الخطا في النقل والفكر امين

فصل قال الله عز وجل

واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة قال الواحدي في الوسيط الاشمئزاز لغة النفور والاستكبار وقال ابن عباس ومجاهد اشمأزت انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وقال ابو عبيدة نفرت وكان المشركون اذا سمعوا لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا من هذا الاعتقاد لان الاصنام آلهة فقد تضمنت هذه الاية فضيلة الذكر جهرا لما فيها من الانكار على قوم اشمأزوا واسمأ

لا اله الا الله وحده لا شريك له ولو كان هذا الذكر سرا
لما أنكر على قوم كثيرين عند ذكرين ذكر انهم لا يواخذون
بما لم يبلغ اسماعهم ولا يسمعون الذكر ما لم يكن جهرا ولم يكن
فيها ما يدل على ان الذكر اسر ذلك الى كل منهم فترجح
الجهر والله اعلم وقال تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله قال البغوي حقيقة المعنى ان قلوبهم تقشعر
عند الخوف وتلين عند الرجاء وروي عن ام كلثوم بنت
العباس ابن عبد المطلب قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت
عنه ذنوبه كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها ورواه الواحدي
في الوسيط ولفظه كما تحات ورق الشجرة اليابسة قال
بعض شراح هذا الحديث فالذكر هو موجب الخشية
التي تقشعر منها الجلود وسواء في الخشية ان تكون بسبب
ذكر الله تعالى هو او بسبب سماعه ذكر الله تعالى من غيره
والجهر فيه محتمل والله اعلم وقال تعالى الم يأن للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
قال الواحدي اي الك يأني اذا اذا حان يقول

اما

اما حان للمومنين ان تخشع قلوبهم وترق ولين لذكر الله
اي يجب ان يكون منهم الذكر خشوعا قال بعضهم سمع
ذكر الله او ذكره هو قال الواحدي ولا يكونوا كمن يذكره
بالغفلة فلا تخشع قلبه بالذكر قال ابن مسعود
ولم يكن بين اسلامهم وبين ان عاتبهم الله بهذه الآية
الا اربع سنين وقال الزجاج نزلت في طايفة من المومنين
خشوا على الرقة والخشوع فاما من وصفهم الله تعالى
بالخشوع والرقة فطبقة من المومنين فوق هولاء وقوله
وما نزل من الحق يعني القران انتهى وقال تعالى ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
قال الواحدي والبغوي وغيرهما يعشو يعرض
قال بعضهم سواء العرض عن ان يذكر هو او عن ذكر
سمعه من غيره وسواء ذكر الله والقران وغير ذلك والمراد
الاعراض بقلبه والله اعلم وقال تعالى فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله قال الواحدي وغيره اي عن
ذكر الله وهو القران وقال بعضهم هو ذكر اسمه او
القران ولا فرق بين ان يكون هو الذاكر او السامع

للذاكرين جهرا والله اعلم وقال تعالى الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم قال الواحدي وجلت خافت قال
بعضهم وذكر يشتمل ان يكون ذكرا او تذكر سماع الذكر
من غيره قلت ويكفي ان من فضيلة ذكر الجهر تذكير من
ملحه الله تعالى بالوجل حين يذكر الله تعالى ولكون ذكر
الجهر كان سببا لظهور وصف الوجل في هذا الممدوح
وذلك وان كان عاما في الذكر فهو شامل لذكر لا اله الا الله
لعلم الدم وبها خصه بعضهم بذكر اسم الله لكن لا دليل عليه وقال
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات لا يضير من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى
يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا وسرا وجهرا وصحة وسقما
وسفرا وحضرا وقال في قوله تعالى فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم اي بالليل والنهار في البر والبحر
والسفر والحضر والغنا والفقر والمرض والصحة والسر
والعلانية واما قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة فقد نقل الواحدي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال ان الذكر في هذا المحل هو القراءة في الصلاة

والتضرع التخشع والتملق والخيفة الخشية وقال ابن زيد
يتضرع الي ويخاف مني امر في صلاة الاسرار ان يقرأ
في نفسه وفيما يرفع فيه الصوت بالقراءة امر ان يقرأ دون
الجهر وهو قوله تعالى ودون الجهر من القول قال والمسنون
دون الجهر لقوله تعالى في اية اخرى ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها الاية وحاصله ان ما ادعي من افضلية
الذكر سرا بدل لانه هذه الاية مردود بل تكون الامر في
هذه الاية خاصا بالقراءة في الصلاة السرية فلا يدخل
فيه سائر الذكر فان قيل لا بد من الجهر للترديد والتكرار
ولا دليل على ذلك قلنا نعم الدليل عليه في قوله تعالى
واعلم انه لا اله الا الله قال الكواشي نقلا عن جمع من
المفسرين منهم السلمي وغيره معناه ازدد ذكر لا اله الا
الله لا تجدد العلم انه صلى الله عليه وسلم هو العالم بانه لا
اله الا الله وهو الداعي اليها قال السلمي فان خطر ببالك
غير ذلك فاستغفر الله منه انتهى ولا تقول للمراد بالترديد
التردد القلبي لان معنى هذه الكلمة ملأ قلبه صلى الله
عليه وسلم وليس محتاجا الى زيادة علم بذلك فظهر ان

المراد النكارة وقوله لموافق الظاهر والباطن والله اعلم وقال تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال البغوي
اي يستكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها وقال
يستكبرون عن توحيد الله قلت وظاهر ان قوله اذا قيل لهم
يغلب ان لا يكون الا جهرا والله اعلم وقد جعل سبحانه علامة
اهل النفاق انهم يراؤن الناس باعمالهم ولا يذكرون الله
الا قليلا اي يقل سماع ذكر الله منهم قولا وذكره بقلوبهم اعتقادا
وقيل المراد ان علامتهم الظاهرة انه لا يسمع منهم ذكر الله الا قليلا
واما باطن امرهم فانهم لا يذكرون الله عز وجل بحال لانهم لو ذكروه
بسوا لظنهم مرة واحدة على الحقيقة لكفاهم ذلك ايمانا ولا شرف
نور هذا الاعتقاد على ظواهرهم والجامع الى الذكر الظاهر والعلامة
انما تظهر في الافعال والاقوال واما الاعتقاد باطنا فلا يطلع
عليه الا الله عز وجل وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا ايمانكم قلوا يا رسول
الله وكيف نجدد ايماننا قال اكثروا من قول لا اله الا الله رواه
احمد ابن حنبل رحمه الله باسناد حسن فصل وروى البيهقي
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال

قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين
يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملإ
ذكرته في ملإ خير منه الحديث قال بعض شراح هذا الحديث
الملا الجماعة ولا يخلو ان يكونوا ذاكرين او غافلين فان كانوا
ذاكرين ذكر الله كلامنهم في ملا خير من ملائهم اي في ملكه وملكوته
بين ملائكته في الآخرة بين انبيائه والمؤمنين وروى مسلم عن
ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما انهما شهدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون
الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت
عليهم السكينة وذكرهم الله في ملإ عنده قال بعضهم
محصول هذا الخبر منوط بالاجتماع والتوافق في الاجتماع
انما يحصل بذكر الجهر الجامع بين اجتماع القلوب
والظواهر على الذكر ولو كان الذكر في الجماعة يحصل
بذكر السر لما ندب له الاجتماع بل ان ذكر السر لا يتصور
فيه الجماعة لانه لا يخلو اما ان يكون في نفسه او
بلسانه فان كان الاول فلا يطلع عليه جليسه
ولا الملائكة ولما يطلع عليه الله عز وجل فقط وان

كان الثاني فلا فائدة معه في كثرة الجمع لان الخليق بالقول السري ان تكون جماعته
ثلاثة او نحوهم والا فليس بسر لان السر لا يسمعه البعيد فلا يعلم كل بعيد
ما يقول ممن يجعل عنده في منع التوافق وبطلت فائدة الاجتماع حينئذ
فهذا تعين الجهر في الاجتماع لان له سبب اجتماع نطقهم ظاهرا وذلك
المناسح مما يؤدي الى اتفاق نياتهم فتحصل فائدة الجماعة ومنه ما رواه ابو داود
عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان
اقعد مع قوم يذكرون الله عز وجل من صلاة الغداة حتى تطلع
الشمس احب الي من ان اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اقعد
مع قوم يذكرون الله عز وجل من صلاة العصر الى ان تغرب الشمس
احب الي من ان اعتق اربعة لم يضعفه ابو داود فهو صحيح على شرطه
فان قيل اذا حصل اجتماع القوم ان ذكرهم يكون سرا قلنا لا نسلم
ذلك لعدم الدلالة في الحديث عليه بل محوى الحديث دالة على الجهر
لما مر ان فائدة الاجتماع انما تحصل بتفهم لفظا ونيته ولا يكون ذلك
الا في الجهر فان قيل لم لا يجوز الاجتماع في الذكر مع الاسرار كما يمكن في
الصلوات السرية قلنا الجواب ان ذلك ممنوع ولا نوع
بان الصلاة ذات ركوع وسجود ونحوها يتدارك المتابع على
الانتقالات فيها بسماعه التكبير ولا يسمع التكبير الا ان يكون جهرا
فظهر بهذا ان الموافقة والمتابعة انما تحصل بواسطة الجهر لان المتابعة
التي ذكرت حصولها في الصلاة السرية ايضا انما حصلت بالاجهار في التكبير فظهرت

فائده

فائدة الجهر فيما وضع له السر ايضا فان ذلك ويجب امكان ان يوافقوا على
ان كل ذكر كذا بعد ذكر كذا الى وقت كذا فهو بتعليل وتحليل
وفيه من التحجير ما مجى شئ ذكر الله تعالى عنه فيه بين الشغلة عن ذلك
وعن سواه بان تكون بواطنهم وظواهرهم لفظا وحركة متفقة في ذكر الله
فيتناسلهم يدرك من الغرض والسرور والنور بذكر مولاهم ما يغشى
الاسرار والاسماع وينور القلوب ويزيح الذنوب ويزيل الكروب
وليس في ذكر السر في الجماعة من ذلك شئ بل وان في الانفراد لمن كان
عنده الوسواس وقلبه مشحون بالمحسوس مشغول بالحس
وانما يصلح ذكر السر لمن ذاب وسوسه وانزاحت الاباطيل عن حبسه
وصفى الذكر قلبه بعلائه وازال الله منه بذكره حجابه وحرقه
وكل وثق نفسه وربه ولا يخفى ما ذكر الجهر مشتمل عليه من تلك الكبر
الى معين وتنشيط القلوب الغافلة روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن دخل السوق فقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير وفع الله له صوته كتب الله
له الف حسنة ومحى عنه الف سيئة ورفع له الف درجة ولما سمع
قتيبة بن مسلم بهذا الحديث كان يركب في موكبه وهو يومئذ امير فيقول

السوق فيقول هذا الحديث ثم رجع وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله ملائكة يطوفون في الطرق
يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا
الى حاجتكم فيحفونهم بجنحتهم الحديث وبذلك على ذكرهم جهرا
قوله تعالى فيمن سمع ذكرهم ولم يكن ذكرا معهم ثم القوم يشقى بهم
جليسهم فان قيل لا يلزم من ذلك انهم يجتمعون على ذكر لا اله الا الله
ويحتمل ان يراد به ذكر غيرها من قرآن وتسبيح ونحوهما قلنا سلمنا ذلك
ولكن الحديث يشمل لا اله الا الله التي هي افضل الذكر كما ورد عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله رواه ابن ماجه وفي
حديث للطبراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت
انا وما قال النبيون من قبلي لا اله الا الله فاذا جزم ذلك في الافضل
فكذلك في الفاضل وقوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه قال كثير من المفسرين ان كل عمل
وقول صالح يصعد بها الملك الى الله الا الله فانها تصعد بنفسها
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة وافضلها قول لا اله الا الله الحديث

فقال

وقال النووي لا اله الا الله رأس الذكر ولذلك اختص بالشهادة الجلالة
من صفوة هذه الامة لتأديب المريدين وتربية السالكين قول لا اله الا الله
وقالوا النفي على الدفع الوسوسة اذا قال لجلالة ذكر الله تعالى وان كان منه
انتهى وقال بعض العلماء لا اله الا الله حرز من سبع وحصن حصين
من قال لا اله الا الله تحصن من كل سوء لحديث تجلدا ربكم بقول لا اله
الا الله قال الله تعالى يقول لها حصني ومن دخل حصني امن من عذابي
وقال ابو بكر الشبلي وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو يعلم الملتبون
بمعاني ذكر لا اله الا الله لكثروا فان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة من ذكرها
ولا اله الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا كل حرف منها
بكفر بنيف وسبعين قلت وقول ابن عباس لا كثر وامن ذكرها
يشمل الجهر كما في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا الا يصير منهم حتى
يذكره قياما وقعودا ومضطجعا وسرا وجهرا الى آخر ما قاله مما اسلفناه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى للملك بكتبه
قربوا مني اهل لا اله الا الله فاني احبهم وروى البخاري من حديث
عبد الله ابن عمرو ابن العاصي ولن يقبضه الله حتى يقوم به الملة
العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا ومن طريق اخر فيفتحوا بها الى آخره قلت فكيف لا يجزل

تستحب الجهر بشي به تفتح حصون وافقال العيون العمي والاسماع
الصم والقلوب الغلف وروينا في صحيح ابن حبان من حديث ابي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يسعد اهل الجمع اليوم من اهل
الكرم فقيل من اهل الكرم يا رسول الله قال اهل مجالس الذكر
في المساجد وروينا فيه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكثر ذكر الله حتى يقال مجنون وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة
فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم اجتمعوا يذكرون
الله عز وجل الا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم منادٍ من السما
قوموا مغفورا لكم قلت وقد تقدم ذكر ما يقصد من الاجتماع
على الذكر وفضيلة الاجتماع وان حصولها انما يكون مع اتفاق لفظ
الذاكرين وقلوبهم وان ذلك انما يتيسر مع الجهر سيما عند
كثرة الجماعة وفي كتاب الشيخ ابي الربيع سليمان ابن سبع
رحمه الله وغيره عن مجاهد رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا على شرار امتي

وله

ولا تقوم على احد قال لا اله الا الله وان للملك ليريد ان يقولها
في الصوت اذا سمع فما يقول لا اله الا الله اخرها سبعين
خريفا وروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد قال عند
مجمع اليهود والنصارى والمجوس والصابئين اشهد ان لا
اله الا الله وان ما دون الله مربوب مقهور لا اعطاه الله مثل
عذابهم يوم القيمة قد آمن النار فان قيل ما الجواب عن قوله
تعالى واذكر ربك في نفسك وقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وقوله صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وقوله انكم لا تدعون اصم
ولا غائبا الحديث وقول بعضهم ذكر الله في القلب سيف الخواص
وقول جماعة الذكر القلب بضعف سبعين ضعفا من ذكر اللسان
قلنا اما قوله تعالى واذكر ربك في نفسك فهو خاص بالصلاة السرية
وقد اسلفنا الكلام عليه ولئن سلمنا قول بعضهم ان الخطاب
عام في سائر الذكر ليشمل ذكر لا اله الا الله فقد قال جمع من العلما
المعنى ان مجرد قول لا اله الا الله باللسان دون وجود معناها في النفس
والقلب لا يفيد شيا ولئن سلمنا حصول معنى الذكر في النفس
سواء وجد النطق بها امرا وامر قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا

وخفية فلا مدخل لذلك في ذكر الله الذي لا يفصل به دعا على
ان بعض العلما فسر التضرع بالجهر والخفية بالسر كما قرروا استدل
به جمع من سادات الفقها في باب صلاة الاستسقا والله اعلم واما
قوله صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي فاعلم ان للذكر ظاهرا وهو
اللفظ وباطنا وهو المعنى واللفظ على قسمين جهري وسري وكل من
القسمين لا يفيد ولا يحصل منه مقصود الا مع وجود المعنى
في القلب لان الاعمال بالنيات والقول انما وضع للدلالة على المعنى وحيث
وجد اللفظ والمعنى فهما خير لكن خيرهما ما هو المقصود منهما
وهو المعنى الذي هو خفي في القلب فكان للمعنى ان في ذكر الجهر
فضلا وافضل منه ذكر السر وافضل منهما معنى اللفظ الثابت
في القلب ويؤيد ذلك حديث ابي هريرة اسعد الناس بشفاعتي
يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه او نفسه فجعل
السعادة منوطة بكل من القول والاعتقاد لكن لا يخفى ما فيه من
الاشارة الى ان القول باللسان وحده لا يفيد وانما يفيد
قولها خالصا من قلبه فمن قلبه مشغول بالاحساس كيف
يتهيا له ان يكون قوله خالصا بل ربما يجتهد في الاخلاص الى الجهر
ليقطع عن نفسه الشغلة بالاحساس فيتفرد قلبه بذكر

الله

الله فيصير قوله خالصا من قلبه ونفسه وحاصله ان
المقصود انما هو ذكر القلب وهو الاخلاص فهو خير الذكر وقول
بعضهم المراد ليس خير الذكر ما نطق به اللسان بل خير الذكر
ما كان معناه ثابتا في الجنان اي وجود معنى الذكر في القلب
قلت فليس في شي من ذلك ما يدل على منع الجهر ولا كراهته
اللهم الا ان يذكر بلسانه وقلبه غافل فان ذلك مكروه بل
لا يسمى عند اهل الحقيقة ذكرا ولا يحصل به ثواب لخلوه عن القصد
وسوا في اللفظ مع الغفلة ان يكون سرا او جهرا واما قوله صلى الله عليه
وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا الحديث فذلك امر منه لقوم
مخصوصين وهم الحجيج في شي مخصوص وهو التلبية ولم يكن
يقال لا تذكرون الله جهرا وقول الرجل لبيك مخالطة فالصواب
فيها كالدعا فيهما مشابهة من يفصل اسماع
بعيد عنه فهو سوا دب بين يدي السميع البصير القريب
سبحانه واما ذكر اسمه سبحانه والتلذذ بذكره وطرب قلبه
الا كل لشغله بذكر سيده اولا وهو كلامه او تسبيحه وتقدس
فذلك ليس من الخطاب الذي فيه مشابهة بما ذكرناه بل هو من
القبيل الذي ورد الامر به في الكتاب والسنة في غير موضع كقوله

تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ذكر الله حتى
يقال مجنون وقوله جددوا ايمانكم ونحو ذلك واما قول من قال
ذكر الله بالقلب سيف الخواص فمعناه ان الخواص قد استغنوا
عن القوة في الذكر الذي هي موضوعة لكسر وسي القلوب المشبهة
بالحيات لان قلوب الخواص قد صفت ونفوسهم قد زكيت
واطمأنت وقد الحكم صقال مرأي قلوبهم بانوار التوحيد
فكان سيف ذكر الله الصقيل المستقر في قلوبهم قاطعا
لكل وسواس وشاغل يشغل عن الله فاستغنوا عن ذكر
الجهر بخلاف غيرهم فان حاجتهم الى القوة في الذكر باقية فالجهر
اولى لهم لكسر وسي قلوبهم ان الحق قد تنكسر الا بقوة الضرب
وكذلك القلوب القاسية لا تكسر تنكسر وسوتها
المشبهة بالحجارة الا بقوة الذكر الجهري بل يكون ذكر الجهر
سيف العوام وذكر القلب سيف الخواص انتهى اعلم ان العامي
من البشر ملي قواه وحساسه الظاهرة على باطنه فهو
احتاج ان يشغل ظاهره بالذكر بقوة لينوع باطنه للذكر بسبب
قطع للمواد الفاسدة عن الظاهر وبهذا كان يشغل بتصفية
الباطن ولذا كسجعلوا التمايل والتغميض والخشوع والسكون

ونحو

ونحو ذلك من اداب الذكر واما الخواص فقد استغنوا عن
الجهر وتربية الحواس الظاهرة بصفا البواطن وجلا القلوب
بانوار التوحيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اخلص لله اربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه فمن كان الاخلاص دائما من بعض المقامات
التي تجاوزها فاجدر ان يملي باطنه على ظاهره فقلوبهم هي
التي تملي على جوارحهم فالذي يحتاج العامي فيه من ايصال المعنى
الى الباطن وتشوفه فيه حاصل للخواص من اول وهلة
فهم في غنية عن القوة الظاهرة فافهم ذلك واما قول احمد
المكي ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفا من ذكر اللسان
فمعناه ان ذكر القلب وحده يضاعف سبعين ضعفا من ذكر
اللسان وحده لان القول بلا فصل لا يسمى ذكرا واما اجتماع
القلب واللسان فلا اشكال في افضليته لانه جمع بين الظاهر
والباطن والله اعلم قلت وحاصل ما حصل تعارض ادلة
فيه افضلية ذكر السر على الجهر فصرف الى الخواص وحمل على ذلك
وافضلية ذكر الجهر فصرف الى سائر الناس وحمل على ذلك
وليس شيء من ذلك ما يدل على تحريم ذكر الله جهرا ولا على كراهته

اللهم الا ان يفصل بذلك التنبيه على المصلين او نحو ذلك
او الرياء او ان يجعل ذكره لحيلة ليفصل بها ما في ايدي الناس
او ليشتهر بالصلاح او المعلوم بنا له فان كل ذلك مكروه ان فصل
مع ذلك تحصيل ثواب الذكر فان لم يفصل فربما حرم عليه ذلك
والله اعلم ثم فصل وهما بوبل ما قررناه ما روي ان الناس كانوا
يذكرون الله عز وجل عند غروب الشمس يرفعون اصواتهم بالذكر
فاذا خفيت اصواتهم ارسل اليهم عمر ابن الخطاب ان نوروا الاذكر
اي ارفعوا بها اصواتكم وعن بعض الصحابة من قال لا اله الا
الله وملء بها صوته تعظيما له غفر الله له اربعة الاف ذنب
قيل فان لم يكن له اربعة الاف ذنب قال يغفر من ذنوب
اهله وجيرانه وقد تنبه ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى
رحمه الله ذكر رجل واحد وذكر جماعة مجتمعين باذان رجل
واحد وجماعة موذنين قال وكان اصوات جماعة للموذنين
ابلغ في قطع حرم الهوى من واحد فكذلك ذكر جماعة
على قلب واحد اكبر تاثيرا في رفع الحجب من ذكر شخص واحد
لان الله تنشد القلوب بالحجاب ومعلوم ان الحجاب لا تتكسر
الا بقوة فقوة ذكر الجماعة الذين هم على قلب واحد اشد

من

من قوة ذكر شخص واحد وقال الشيخ محيي الدين
النووي رحمه الله في الاذكار لا ينبغي ان يترك الذكر باللسان
مع القلب خوفا من ان يطلع عليه الرياء فيذكرهما جميعا ويفصل
بذلك وجه الله تعالى ولو قدح الانسان على نفسه باب
من حظة الناس والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة لانسد
عليه ابواب الخير وضيع على نفسه شيئا عظيما من مهمات
الدين وليس هذا من طريقة العارفين وقال عطاء مجلس
ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال الشيخ
شهاب الدين ابن رسلان في نهاية الاذكار ما معناه
ان الجمع بين هذه الامور والاحاديث ان ذكر السر افضل من
خاف الرياء ايضا والا شوش على مصل وقرب منه والا فذكر
الجهر افضل انتهى قلت والعجب كل العجب ممن يسمع
الغناء المباح بلا كراهة ويضيع اوقاته وينفيس عمره في
تحصيل الملابس المرتفعة والمآكل الشهية والمفاكهة
بالكلام ونحو ذلك مما يضيع فيه العمر بلا طائل اخروي ولا
يرى كراهة في ذلك كله ولا في شيء منه ثم يقول بكراهة ذكر
الله جهرا ولا ينظر الى كون ذلك عنوان الايمان وشعاره

وايقاظا من الغفلة وتصفيه من الكدورة ودخيرة للمعاد ورأه من
النفاق وقد اسلفنا ان الله عز وجل ذكر من علامة المنافقين انهم لا
يذكرون الله الا قليلا والذكر جهرا مما يدعوا كل سامع الى التوجيد
ويحثه على التعويل والتغويل وهو المراد بقوله صلى الله
عليه وسلم الطوافون اذا الجمال والاكر لمن يذكره بقال الظ بالشي
بلظاظا اكثر وقد اسلفنا في حديث عمرو انه يقول القائلين لا اله
الا الله يحصل فتح العيون العمي والاسماع الصم والقلوب الغلف
فكيف لا نستحب الجهر بذلك ولا مثاله من الخير المترتب على الذكر
والتذكير فان قيل يلزم مما قررتم ان الخواص يكره لهم الجهر بالذكر
لعدم لهم عن الفاضل الى المفضول قلت لا يجاب ان ذلك انما هو
للخواص في حال انفرادهم اما حالة الاجتماع فالجهر اولى لما فيه
من جمع الناس على ذكر الله واشتغالهم به وحثهم عليه وترغيبهم
فيه بحضوره بل له بقدر ثواب كل واحد ممن اعانه وبهذه
وحثه ودله على ذكر الله وتسبب في زوال غفلته لان الدال على
الخير كفاعله وقد ثبت انه يكتب للذاكر والجماعة على الخير ولا يخفى
ما في ذلك من الاجر لقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام
سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص
من اجورهم شيء الحديث ه خاتمة ينبغي ان يكون مجلس الذكر
نظيفا

نظيفا طاهرا والمساجد اولى قال النووي وان كان بفيه نجاسة
ازالة بالسواك قبل ان يذكر الله فان كان بفيه نجاسة غسلها والا
كره له الذكر ويفصل موضعا نظيفا تعظيما للذكر والمذكور ولهذا
مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة انتهى وقال الله عز
وجل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها الاية
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي الذي بال
بالمسجد ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر
انما هي لذكر الله تعالى وقراءة القرآن او كما قال رواه مسلم وقد اسلفنا
حديث اهل الكهف وانهم اهل مجالس الذكر في المساجد رواه
ابن حبان وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة
من اصحابه يذكرون الله بالمسجد وقوله لهم اتاني جبريل فاخبرني
ان الله يباهي بكم الملائكة رواه مسلم عن معاوية رضي الله عنه والاخبار
والآثار واقوال العلماء المحققين في ذلك وتقريرهم عليه وما اشتهر
له لا يخفى على من له المام بمطالعة الكتب وخلطة جماعات الخير
وليس ما ذكرنا اليه في هذه الخاتمة مقصودا في هذا الجزء ولكنه
لما كان ذلك من لوازمه غالبا ناسب ان نذكر معه ولبعض ذلك ختام
هذا الجزء المبارك والله الهادي الى سبيل الرشاد واسأله حسن الخاتمة
والنجاة في المعاد تم بحمد الله تعالى كتابة في سادس عشرين شهر محرم

الحرام سنة اثنين وثمانين وثمانمايه وكتب من نسخه بخط المؤلف
ما على يد كاتبه العبد الفقير ابي الفتح محمد ابن ابراهيم ابن ما
ما محمد ابن مقبل البهاي البلبيسي الشافعي ما
ما الخطيب الوفائي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ما
ما ولجميع المسلمين امين يا حسين ما
ما الله ونعم الوكيل ما

الحمد لله قد شرع في جمع هذا الجزء المبارك الفقير الى الله تعالى
الشيخ شمس الدين ابو الفتح محمد بن الرحوم الفقير الى الله تعالى ابن
الخطيب البلبيسي الوفائي اعانه الله على ما بدء قراءة ورواية
اتم السلوك فهم المعاني وبلغه من فضل الله الامانى وذلك بحضور
المولى العزيز الفقيه الى الله تعالى الشيخ شمس الدين ابو الارشاد
محمد بن المرحوم الشيخ علاء الدين ناصر الطوخي المصري الشافعي الوفائي
لطف الله به في الدارين والمولى عباس وهاب رعاه الوفائي عبد العزيز
البلبيسي الوفائي ختم الله بخير واجرت للقاري والسامعين
ان يرزقوا ذلك عيني وفاجازلي وعنهم وابيته بشرطه والله سبحانه
اسأل ان ينفعنا واياهم بهذا الكتاب وما فصل فيه وان يبلغ بكلا منا
ومنهم امله امين وذلك في تاريخ السابع والعشرين من شهر الله المحرم
افتتاح شهوره اثنتين وثمانين وثمانمايه احسن صلوات الله على
صحبه وسلم تسليما ذلك وكتب له الوفائي غفر الله له الوفا الحسني المغربي

ومحبة ذلك استوا وجوده وعدمه واعلم ان الموقوف الذي على صل
الزاهد الذي لابد له منه وبه تظهر صفة الزاهد ضوان لا
يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود
من ذلك وان يأخذ الحاجة من كل شيء عند الحاجة الى
الشيء لا يتناول منه شيئا الا من شد الفاقة ولا يطلب
الشيء قبل الحاجة اليه مع وادن الزهد يحول غم الآخرة
في القلب ثم وجود حلاوة معاملة الرب تعالى ولا يزال
غم الآخرة حتى تخرج حلاوة الهوى وكلما ترك المعصية
ولم يجد حلاوة الطاعة رجع اليها وكلما ترك الدنيا ولم
يذق حلاوة الزهد رجع وبطل عمله الصالح الزهد خراج المزهد
من الدنيا من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد
وهو عدم الموجود على الاستصغار له والاحتقار لهوان
الدنيا عنده وصغرها في عينه بهداية الزهد ينسى